خسرو وشيرين

فى التصوير الإسلامى

للدكتور محمد مصطفى

— ٣ —

تنقل الحبيبان ومن معهما من أفراد الحاشية والجوارى والخدم من مكان إلى آخر ، فوق الهضاب المرتفعة وفى السهول وبين المراعى والحقول ، وهما فى رحلتهما إلى الريف ببلاد أرمينية ، يلهوان بالصيد والقنص وأنواع التسلية والملاهى الأخرى ، حتى وصلا إلى شاطئ نهر آراس ، حيث تنبعث من الأرض رائحة المسك والطيب ، ويجلب الهواء معه عطور الورود والرياحين وشذى الزهور والياسمين ، فطاب لهما فى هذا المكان المقام ، وأمرا بضرب الخيام . وهناك أقام خسرو مأدبة ثانية لحبيبته شيرين ، استمعا فيها للألحان « باربد » وموسيقى « نيكيسا » وهما يرددان أناشيد الغرام ، فينطقان بما ينبض به قلب كل من الحبيبين من عواطف ووجد وهيام

وفى صبيحة اليوم التالى لهذه المأدبة ، جلس خسرو إلى جانب شيرين أمام إحدى الخيام ، وإذا بأسد جائع ينقض عليهما والشرر يتطاير من عينيه ، يريد أن ينال من خسرو كأنه يحقد عليه الاستئثار بشيرين الحلوة الجميلة ، فقام إليه خسرو وهو أعزل من السلاح ، وتهيأ ليقابله فى معركة حياة أو موت ، بينه — وهو ذلك الملك المتوج على شعب إيران العظيم — وبين هذا الأسد الجائع — وهو ملك الوحوش أجمع وسيد الصحارى والبرارى — فتلقاه وقد شمّر عن ذراعيه ليدافع عن حبيبته . ووهبه الحب قوة على قوته ، فأمسك الأسد بيده اليسرى من لبدته ، ثم هوى على أم رأسه بضربة شديدة من قبضة يده اليمنى كانت هى القاضية عليه . وقد حدث ذلك كله فى طرفة عين دون أن يجد الحارس الواقف على مقربة من الخيمة الوقت الكافى ليهجم على الأسد ويشج رأسه بسيفه . وكانت شيرين قد هرعت إلى باب الخيمة ووقفت به ، تنظر إلى « المعركة » واجمة خائفة أن يصيب الأسد خسرو بسوء ، ولكنها عند ما رأته ينتصر عليه ، ازداد إعجابها بحبيبها واعتدادها به

وفى (شكل ١) نرى[1] خسرو وهو واقف أمام خيمته بجوار مجرى ماء ، وقد أمسك بيده اليسرى لبدة الأسد ، وتهيأ ليقضى عليه بضربة من قبضة يده اليمنى ، وإلى اليمين أسرع حارس لمعاونته ، وقد قبض بكلتا يديه على سيف امتشقه ليضرب به الأسد[2] ، ووقفت شيرين وعلى رأسها تاج فى مدخل الخيمة تعض يدها وهى تنظر فى لهفة إلى خسرو ، وإلى جوارها ثلاث

(شكل ١)

من صويحباتها يرقبن نتيجة « المعركة » ورجل من أفراد الحاشية تقدم لنجدة خسرو . ونلاحظ النقوش الجميلة الواضحة على قماش الخيمة ، من فروع نباتية وزهور وصور حيوانات وطيور . وهذه الصورة فى مخطوط لأشعار إيرانية ، كتب سنة ٨١٣ هجرية (١٤١٠ م) للأمير اسكندر سلطان حاكم شيراز ، وهذا المخطوط محفوظ فى مجموعة جلبنكيان

* * *

هكذا مرت الأيام ومضى الوقت والحبيبان يلهوان بالصيد والقنص ، وإقامة الحفلات والمآدب ، والاستماع إلى الغناء والموسيقى ، ويشعران بالسرور والسعادة فى قرب كل منهما

(١) هذه الصورة منقولة عن : S. P. A., V pl. 861 B
انظر أيضا : S. P. A., III, p. 1845—46 و Sakisian, pl. XXX, fig. 44

(٢) نرى هذا الوضع فى الصور المماثلة . انظر مثلا : Binyon — Wilkinson — Gray, p. 65, no. 42 b, pl. XXXII C.

للآخر إلى أن كان ذات ليلة وقد عصف الهوى بنفس خسرو واستبدّ به الغرام فلم يستطع كبح جماحه ، تقرب منها يريد غوايتها ، ولكنها صدته ، وهي تذكر ذلك الوعد الذي قطعته على نفسها أمام عمتها « مهين بانو » الطيبة القلب ، فاستمدت منه الجرأة لتقسو عليه ، وتطلب منه أن يسعى لاسترداد عرش أجداده وأسلافه وينتصر على ذلك المغتصب ، وهو ذلك الملك القوى ، قبل أن يحاول غواية امرأة ضعيفة مثلها .

وكان لهذه الكلمات أثر شديد فى نفس خسرو . ففى صبيحة اليوم التالى رحل قاصداً إلى بلاد الروم ، وقلبه ملىء بالحسرة المريرة لفراقه من حبيبته الجميلة . وفى الطريق مرّ على دير فيه راهب يتنسك ، فقرب خسرو من الدير وقال : « أيها الراهب المتنسك ، إنى رجل من أهل إيران أقصد حضرة قيصر فى رسالة ، فاخبرنى بما يصير إليه حالى ، ويؤول إليه عاقبة أمرى . فقال الراهب : أنت كسرى بروز وقد هربت من يد بعض عبيدك ، وسيزوجك قيصر بعض بناته ؛ ويمدّك برجاله وأمواله فتعود وبهرب عدوّك إلى بلاد بعيدة ثم يقتل بأمرك هناك . فقال : لا كان غير ما ذكرت أيها الراهب ، ولكن متى يكون هذا ؟ فقال : بعد سنة أخرى ، إذا مضت خمسة عشر يوماً من السنة الثانية صرت ملك إيران ، وتسنمت التخت ولبست التاج[1] »

وقد كان ما تنبأ به هذا الراهب الصالح ، وتوجه خسرو إلى الملك موريس امبراطور الروم ، فاستقبله استقبالاً حسناً ، ودعاه إلى النزول فى « هيروبوليس » فأقام بها . ثم زوّجه من ابنته « مريم » وزوده بجيش قوى ، تمكن خسرو بواسطته من أن ينتصر على القائد بهرام جوبين ، ويلجئه للفرار إلى خاقان الصين ، حيث يقتل بأمر خسرو[2] .

وفى (شكل ٢) نرى الموقعة بين الملك خسرو والقائد بهرام جوبين ، وقد جلس خسرو فى هودج على فيل كبير ، وفى يده قوس يسدّد منها سهماً . وإلى جانبه فى وسط الصورة معلمه الوزير بُزرجميد الحكيم ، وقد ركب على فرس وفى يده اسطرلاب يحدد به الوقت الملائم لهجوم خسرو على القائد بهرام جوبين

(١) عن الشاهنامه ج ٢ ص ٢٠٦ ، انظر أيضاً : Laurence Binyon, P. 18 و E. J. W. Gibb, I, p. 320 — 21

(٢) انظر تفصيل ذلك فى الشاهنامه ج ٢ ص ٢٠٧ وما بعدها ، والطبرى ، طبعة المطبعة الحسينية ج ٢ ص ١٣٨ وما بعدها ، ونولدكه ص ٢٨٢ وما بعدها ، وسيكس ج ١ ص ٥١٩ وما بعدها

ليضربه الضربة القاضية . وترى المعركة حولها قائمة على قدم وساق ، والمحاربون يحملون الأعلام وهم على ظهور الجياد ،

(شكل ٢)

يتطاعنون بالحراب والسيوف ويتراشقون بالسهام ، وقد سقط البعض منهم صرعى على الأرض ، وراحت جيادهم تغدو هنا وهناك وهى حائرة . ويلاحظ ما هو واضح فى هذه الصورة[1] ، من الحركة والحياة ، وما يبدو على سحن الأشخاص فيها من الاهتمام . وهى تنسب للمصور « سلطان محمد » أحد مشاهير مصورى عصر الشاه طهماسب الأول الصفوى ، لما فيها من ميزات امتاز بها أسلوبه فى التصوير[2] وهى محفوظة فى المتحف الملكى الاسكتلندى

* * *

وللمرة الثانية توّج خسرو ملكا على إيران بعد فرار القائد بهرام جوبين إلى خاقان الصين ، فأرسل إليه خسرو من اغتاله هناك . ولما استتبت أمور بروز وانتظمت أسباب سلطانه ، وأذعنت الملوك طوعاً وكرهاً لأوامره وأحكامه ، وأظلت على العالمين سحائب عدله وإحسانه ، قسّم الأرض أربعة أقسام ، وأرسل إلى كل قسم منها اثنى عشر ألف فارس ، ممن مارسوا الأمور وكابدوا تصاريف الدهر حتى صاروا أفراد الزمان ، وآساد

(١) منقولة عن : Binyon — Wilkinson — Gray, pl. XCIV A

(٢) انظر : S. P. A., III, p. 1875 و B — W — G, p. 137, no. 166

الضراب والطعان ، وأوصى الكل بالتيقظ والتحفظ وحفظ المالك ، وضبط المسالك . ثم رزق من زوجته مريم بنت موريس إمبراطور الروم ابناً دعاه بين الناس «شيرويه» . ولما مضى ثلاث ساعات من الليل على ولادته ، حضر المنجمون عند الملك ، فسألهم عن طالع المولود ، فقالوا : أيها الملك ، إن الأرض تتلىء من هذا المولود شراً ، ولا يحمد أحد سيرته ، وهو يمرق عن الدين ، ويخرج عن طاعة رب العالمين[1] . وكان ما تنبأ به المنجمون ، ولزم شيرويه نحس طالعه ، حتى أمر بقتل أبيه خسرو ، ثم مات هو بالطاعون كما سيأتي ذكر ذلك فيما بعد

(شكل ٣)

وفي (شكل ٣) نرى خسرو في يوم تتويجه ملكاً على إيران وقد جلس على عرش في منظرة بحديقة غنية بأشجار السرو والفاكهة والزهور والورود . ويحيط به بعض كبار المملكة وهم يتحدثون ويتناقشون ، ويقدّم لهم الخدم والسقاة الطعام والشراب ، ووقف حولهم رجال الحرس ومعهم أسلحتهم ، وغلمان «البازدارية» وهم يحملون صقور الصيد . ووقف على سطح المنظرة ستة من أفراد الحاشية يتجادلون ويشيرون إلى أسفل ، ويبدو كل منهم أنه يود أن يسبق زملاءه في التعرف على كبار الدولة الواقفين حول خسرو . وهذه الصورة[2] عليها إمضاء المصور «آقاميرك» ، ولكن بعض مؤرخي الفن الإسلامي[1] ، يقولون إنه لا يمكن التثبت بوجه قاطع من صحة هذه الإمضاء ، بالرغم مما هو واضح في هذه الصورة من الدقة في رسم الزخارف والزركشة على الملابس وغير ذلك مما امتاز به أسلوب آقاميرك في التصوير . ونشأ هذا المصور من أسرة كريمة المحتد في أصفهان ، تنتسب إلى آل البيت ، ثم رحل إلى تبريز حيث تعلم التصوير على المصور «بهزاد» وكان آقاميرك من الأصدقاء المقربين للشاه طهماسب الأول[2] ، ويقال إنه ما زال يشتغل بالتصوير في بلاط هذا الشاه حتى سنة ٩٥٧ هجرية (١٥٥٠م) . ويظهر أن المصور قصد بهذه الصورة أن يبيّن ما كان عليه بلاط الشاه طهماسب من الأناقة والبذخ والروعة والجلال ، وأنه صوّر الشاه نفسه في شخص خسرو الجالس على العرش ، كما يتضح ذلك من سطر الكتابة في أعلى بناء المنظرة . وهذه الكتابة تقرأ «اللهم خلد دولة السلطان الأعظم والخاقان الأعدل الأكرم السلطان ابن السلطان بن السلطان أبو المظفر السلطان شاه طهماسب الحسيني[3] الصفوي بهادرخان خلد الله تعالى ملكه وسلطانه وإلى (كذا!) يوم الدين» . وهذه الصورة في مخطوط نظامي السابق الذكر المكتوب للشاه طهماسب بين سنتي ٩٤٦ و ٩٥٠ هـ (١٥٣٩ — ٤٣ م) وهو محفوظ في المتحف البريطاني

(له بقية)

محمد مصطفى
أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) انظر الشاهنامه ج ٢ ص ٢٣٣

(٢) منقولة عن : Laurence Binyon, pl. IX انظر أيضاً : Martin, II. pl. 135 والدكتور زكي محمد حسن «التصوير في الإسلام» اللوحة ٣١ شكل ٤٢

(١) انظر : Kühnel, Book Painting, in : S. P. A., III, p. 1874

(٢) تولى الشاه طهماسب الأول ملك إيران مدة ٥٤ سنة (٩٣٠ — ٩٨٤ هجرية) . انظر : Zambaur, Manuel, p. 261

(٣) ينتسب ملوك الدولة الصفوية إلى الامام موسى الكاظم من نسل الحسين بن علي رضي الله عنهم . انظر سيكس ج ٢ ص ٢٤٠ ، وانظر كتابة مماثلة باسم الشاه «عباس الحسيني الموسوي الصفوي» في : O. Wiet, L'exposition persane de 1931, p. 56

عدد الربيع الممتاز
من مجلة
الحسنان
أحدث المولدات والأزياء — هدايا ثمينة مجاناً — بالونات مفارش — أدوات زينة الخ ...
طبع العدد بالروتوغرافور بالألوان ثمنه ٢٠ قرشاً صاغ
يصدر أول مايو سنة ١٩٥٢